University of Benghazi
Faculty of Education Al marj
Global Libyan Journal

جامعة بنغازي
كلية التربية المرج
المجلة الليبية العالمية

العدد الأول – ديسمبر 2014

اثر انتشار المذاهب المسيحية والمجامع الدينية العالمية على الإمبراطورية البيزنطية

د. صلاح الأمين عبدالله محمد

(محاضر بقسم التاريخ - كلية الآداب والعلوم المرج – جامعة بنغازي - ليبيا)

اثر انتشار المذاهب المسيحية والمجامع الدينية العالمية على الإمبراطورية البيزنطية

الملخص

دراسة موضوع اثر انتشار المذاهب المسيحية والمجامع الدينية العالمية على الإمبراطورية البيزنطية، تهدف إلى تسليط الضوء على هذا الأثر، وكيف لعبت المذاهب والمجامع الدينية المسيحية دورا كبيرا في قيام وسقوط الإمبراطورية. حيث سنتحدث عن اعتراف الإمبراطور قسطنطين عام 313م بالديانة المسيحية، وكذلك سنتكلم على الصراع الديني الذي حدث داخل الإمبراطورية البيزنطية بسبب ظهور المذاهب الدينية المسيحية. كذلك أيضا سنستعرض المجامع الدينية العالمية (المسكونية) والمجامع المحلية أو المكانية، والدور الذي لعبته في تمزيق الوحدة الدينية داخل الإمبراطورية البيزنطية عام 1054م. وكذلك سنتطرق إثناء ذلك إلى أحوال الإمبراطورية البيزنطية سواء في شرقها أو في غربها. وسنذكر اثر انتشار المذاهب المسيحية والمجامع الدينية العالمية على الإمبراطورية البيزنطية. ومن أهداف هذه الورقة أيضا الوصول إلى أهم نتائج إثر انتشار المذاهب المسيحية والمجامع الدينية العالمية على الإمبراطورية البيزنطية. أما المنهج الذي اخترناه للدراسة، هو المنهج السردي التاريخي، حيث نقوم بجمع المادة العلمية من المصادر القديمة والمراجع الحديثة، وبعد ذلك نقوم بالنقد والتحليل والمقارنة بين جميع المعلومات الواردة في المصادر والمراجع، للوقوف على سماتها وخصائصها وتأثيراتها المباشرة وغير المباشرة، بغية الوصول واستخلاص اثر انتشار المذاهب المسيحية والمجامع الدينية على الإمبراطورية البيزنطية.

الكلمات الرئيسية: الإمبراطورية البيزنطية ، المسيحية ، المذاهب ، المجامع الدينية العالمية.

عناصر البحث

- المقدمة.

1. اعتراف الإمبراطورية البيزنطية بالديانة المسيحية.
2. ظهور المذاهب الدينية المسيحية في الإمبراطورية البيزنطية.
3. المجامع الدينية.

- الخاتمة.
- قائمة المصادر والمراجع.

المقـــــــدمة

كان انتصار المسيحية هو في الحقيقة تاريخ ظهور الإمبراطورية البيزنطية في عصر قسطنطين الكبير (323-337م). ففي سنة 305م مرض دقلديانوس (284-305م) وتقدم به السن فتنازل هو وماكسيميان عن لقبهما الإمبراطوري واعتزلا العمل السياسي. وأصبح جاليريوس حاكماً للقسم الشرقي للإمبراطورية خلفاً لدقلديانوس. في حين أصبح قسطنطيوس (والد قسطنطين) حاكماً للقسم الغربي خلفاً لماكسيميان. وكان قسطنطيوس قد عرف بمواقفه السلمية تجاه المسيحيين، غير أنه توفي فجأة في السنة التالية 306م في بريطانيا مركز حكمه وخلفه ابنه قسطنطين.[1] وفي سنة 311م مرض جاليريوس مرضاً عضالاً أعتقد إن سببه هو انتقام آله المسيحيين له، لهذا أصدر فجأة مرسوما يمنع اضطهاد المسيحيين وعفا عنهم، وأعلن حقهم في الوجود. ويبدو أن هذا المرسوم لم ينفذ بصورة فعلية. ففي تلك السنة كان دقلديانوس لا يزال على قيد الحياة (مات سنة 312م) نشبت حرب أهلية، وأعلن الثائرون خلع جاليريوس من منصبه وتعيين Maxentius ماكسنتيوس ابن ماكسيميان. واغتنم قسطنطين موت ماكسيميان وجاليريوس واتحد مع الاغسطس الجديد ليسينيوس Licinius وتمكنا سنة 312م من هزيمة ماكسنتيوس في معركة فاصلة تسمى جسر ملفيان Milvian Bridge على نهر التيبر قرب روما. وغرق ماكسنتيوس في نهر التيبر إثناء محاولته الهرب من المعركة.

خلال القرن الرابع الذي أعقب موت الإمبراطور قسطنطين كان أباطرة الإمبراطورية البيزنطية، ما عدا جوليان، يعتنقون المسيحية. غير إن انتشار المسيحية ونمو الكنيسة أديا إلى ظهور كنائس كبرى في الشرق بجانب كنيسة القسطنطينية وهي كنائس بيت المقدس وإنطاكية والإسكندرية. وكان لكل كنيسة من هذه الكنائس ادعاءات خاصة من حيث السيادة وغيرها، لذلك كان من الصعوبة تحقيق الوفاق أو المساواة أو الاتحاد بينها من الناحية النظرية، لان بعض هذه الكنائس كان أكثر أهمية من بعض. وفي القرن الخامس زاد التنافس بين هذه الكنائس، إذ إن أساقفة الإسكندرية وروما استنكروا ارتفاع شان أساقفة القسطنطينية، وحاولوا - عبثاً - أساقفة إنطاكية القضاء على ادعاءات أسقفية بيت المقدس. يضاف إلى ذلك النزاع والتنافس بين كنيستي القسطنطينية وروما، فإذا تمتع أساقفة روما القديمة بمركز ديني كبير باعتبار إن روما كانت عاصمة للإمبراطورية الرومانية، ادعى نفس المركز أسقف روما الجديدة إي أسقف القسطنطينية. وللوقوف في وجه ادعاءات كنيسة القسطنطينية شرح البابا داماسوس Damasus في أواخر القرن الرابع سمو كنيسة بطرس في روما.

[1] كان قسطنطين ابن غير شرعي للإمبراطور قسطنطيوس كلروس Constantius Chlorus من عشيقته هيلانه الذي أقام معها عدة سنوات في مدينة بيثينيا Bithynia ثم هجرها سنة 289م ليتزوج من ثيودورا Theodora ابنة زوجة الإمبراطور ماكسيميان. وتربى قسطنطين في القصر الإمبراطوري في نيقوميديا حيث تطلع منذ صغره على إسرار الحكم والسياسة، أنظر:
سيد احمد الناصري: تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، دار النهضة العربية (القاهرة، 1975) ص357.

ومما زاد من الخلافات الدينية المذهبية إن المجتمع البيزنطي نشأ مجتمعاً دينياً، وكان اللاهوت هو الموضوع المفضل للمناقشة حتى بين عامة سكان القسطنطينية. وأشار جريجوري (340-400م) أسقف مدينة نيس أنه عندما ذهب إلى العاصمة القسطنطينية وجد سكانها يتحدثون في اللاهوت بنجابة "فإذا سألت أحد عن ثمن سلعة من السلع أجاب سائلاً عن المولود وغير المولود، وإذا سألت احد عن ثمن الخبز أخبرك صاحب المخبز بان الأب أعظم من الابن وان الابن يجب إن يكون دون الأب، وإذا طلبت من الحمامي إن يعد لك الحمام أجاب بان الابن وجد من لا شي". وبالتالي تكمن أهمية هذا الدراسة من كونها تناقش موضوعاً مهماً وهو **(اثر انتشار المذاهب المسيحية والمجامع الدينية العالمية على الإمبراطورية البيزنطية)** حيث انه يشغل حيزاً من تفكير الكثير من المفكرين والمؤرخين المهتمين بدراسة تاريخ الإمبراطورية البيزنطية.

وتهدف الدراسة إلى تحديد معالم الأثر الذي لعبته المسيحية بمذاهبها ومجامعها الدينية على الإمبراطورية البيزنطية. ومن الأهداف المتوخاه من هذه الدراسة أيضا، الوصول إلى بعض الحقائق التي قد تقودنا إلى فهم بعض الغوامض التاريخية في فترة الدراسة، وكذلك دراسة جديدة لبعض الأحداث التي أصبحت في طيّ النسيان، ورأيت من واجبي أن أمد يدي لالتقاط غموض هذه الأحداث، حتى تظهر للملأ، وتطفو على السطح.

أما المنهج الذي اخترناه لدراسة موضوع اثر انتشار المذاهب المسيحية والمجامع الدينية العالمية على الإمبراطورية البيزنطية هو المنهج السردي التاريخي، حيث نقوم بجمع المادة العلمية من المصادر القديمة والمراجع الحديثة والمجلات والندوات والمؤتمرات العلمية التي درست تاريخ الإمبراطورية البيزنطية بصفة خاصة، للوقوف على سماتها وخصائصها وتأثيراتها المباشرة وغير المباشرة، بغية الوصول واستخلاص اثر انتشار المذاهب المسيحية والمجامع الدينية على الإمبراطورية البيزنطية.

1. اعتراف الإمبراطورية البيزنطية بالديانة المسيحية:

وعندما اعتلى قسطنطين العرش البيزنطي (323-337م) كانت الديانة المسيحية قد تغلغلت في كيان الإمبراطورية منذ حوالي ثلاثة قرون، وقد حاول بعض الأباطرة القضاء على هذه الديانة بالعنف والدم مثل دقلديانوس وجاليريوس فقد كان Galerius رجلاً دموياً شديداً البأس على المسيحيين ولم تجد قسوته نفعاً بل انتشرت المسيحية أكثر من ذي قبل. وقد وجد Galerius نفسه بعد سنوات من الاضطهاد إن سياسة العنف هذه سياسة فاشلة، واقتنع آخر الأمر بان العنف والاستبداد لا يقضيان على شعب بأسرة وعلى معتقداته الدينية. ولعل ذلك ناتج عن اعتلال صحته لفترة ليست بقصيرة، فأصدر على طيب خاطر - لا صلاح ما أفسدته يداه - مرسوماً عاماً يحمل أسمه وأسم ليسينيوس Licinius . ومن نص هذا المرسوم "... لقد اتجهت إرادتنا إلى بسط مزايا رأفتنا المألوفة على هولاء الإفراد المسيحيين التعساء، ولذلك نرخص لهم في إعلان آرائهم الخاصة في حرية تامة، وفي عقد اجتماعاتهم السرية دون خوف أو إزعاج شريطة إن يظهروا دوما الاحترام اللائق للقوانين والحكومة القائمة، وأننا نأمل إن يكون تسامحنا دافعاً إلى الصلاة والتضرع إلى الإله الذي يعبدوه من اجل سلامتنا وسلامتهم ورخائهم وسلامة الإمبراطورية ورخائها".[2]

وعلى ما يبدو إن أعوان Galerius لم ينشروا هذا المرسوم كما هو، وإنما نشروا تعليمات إلى حكام الولايات تحدثوا فيها عن رفق الأباطرة بالمسيحيين وأشاروا فيه على رجالهم بوقف محاكمة المسيحيين وغض الطرف عن الاجتماعات السرية. وأعقب ذلك إطلاق سراح المعتقلين منهم، ولكن ذلك لم يدم طويلاً بسبب حكم Galerius القصير (305-306م) وما تبع ذلك من اضطرابات داخل الإمبراطورية. واجتمع بعد ذلك قسطنطين وليسينيوس عند مدينة ميلان في مارس 313م وأعلنا التسامح الديني للمسيحيين وأصدرا وثيقة سميت خطأ باسم مرسوم ميلان، ذلك لان النص الأصلي للوثيقة لم يعثر عليه. ولم تكن هذه الوثيقة مرسوماً ولكنها رسالة موجهة إلى أحد حكام الولايات في أسيا الصغرى (حاكم نيقوميديا) تحتوي على توجيه بحسن معاملة المسيحيين وتوضح سياسة التسامح التي اتبعتها اتجاههم.[3] وقد استقبل هذا المرسوم على انه قانون أساسي من قوانين العالم الروماني، ومن هذا المرسوم: « عندما تقابلنا نحن قسطنطين أوغسطس وليسينيوس أوغسطس في ميلان مكللين بالرعاية والعناية، أخذنا نبحث فيه جميع الوسائل الخاصة بالصالح العام لرعايانا. ومن هذه المسائل التي تهم الكثيرين وتعود بالنفع عليهم مسألة حرية العقيدة. لذلك قررنا إصدار مرسوم يضمن للمسيحيين وكافة الطوائف الأخرى حرية اختيار وممارسة العقيدة التي يرتضونها، وبذلك نضمن رضاء جميع الإلهة والقوى السماوية علينا، كما نضمن رضاء جميع رعايانا ممن يعيشون في كنف سلطاننا. وهكذا قررنا عن ثبات وتعقل ألا يحرم إي فرد كائناً من كان من اختيار المسيحية ديانة له. ولكل فرد الحرية في اختيار الدين الذي يناسبه. وبذلك نضمن استمرار تأييد الرب لنا بنفس

[2] Davis, R.H. 1968. History of Medieval Europe from Constantine to Saint Louis. London, p 15.
[3] Vasiliev, A. 1961. A History of the Byzantine Empire 324-1453AD. 2 voles. 3rd edition. Madison and Milwauk, I, pp 50-51.

الكرم والقوة اللذين تعودناهما منه .. وهذا المرسوم الذي صدر من فيض كرمنا يجب إن يذاع على الجميع ويجب إن يحاط به الجميع علماً وينشر في كل مكان حتى لا يفوت احد الأخذ به .. ».[4]

والنص الخاص بالفقرة الأخيرة كما هو منشور باللغة الانجليزية كالأتي:

"So that the form of this ordinance and of our benevolence may come to the attention of all men. It will be convenient for you to promulgate these letters everywhere and bring them to the knowledge of all, so that ordinance of our benevolence may not be hidden."

وعلى ذلك فنحن أمام الحقائق التالية:

1. إن المسيحية ظلت حركة سرية منذ بدايتها حتى إعلان مرسوم ميلان عام 313م.
2. اضطهد بعض الأباطرة المسيحيين، وغالى بعضهم في ذلك.
3. لم يكن المرسوم أول مرسوم بالتسامح مع المسيحيين بل سبقه المرسوم الذي حمل اسم جاليريوس وليسينيوس.
4. إن مرسوم جاليريوس لم يعمل به لقصر مدة حكم الإمبراطور.
5. لعل في العبارة الأخيرة الواردة في مرسوم ميلان ما يؤكد ذلك وان عبارة Not be hidden تشير إلى الخوف من سابقة حدثت تحوم حول ما تنطوي عليه هذه العبارة من معنى ويخشى تكرارها.
6. إن مرسوم ميلان لم يصدره قسطنطين منفرداً بل صدر منه ومن شريكه في الحكم ليسينيوس.[5]

والحقيقة أن هذه الرسالة الصادرة من قسطنطين وليسينيوس عبارة عن تأكيد لما ورد في مرسم جاليريوس الصادر في سنة 311م. وأعطت هذه الرسالة المسيحيين وغيرهم من معتنقي الديانات الأخرى كامل الحرية في إتباع العقيدة التي يختارونها، وبالتالي أصبحت المسيحية ديانة معترف بها كغيرها من الديانات في الإمبراطورية.[6] واستكمالاً لمحتوى مرسوم ميلان نقول إن المرسوم يرد كل الحقوق الدينية إلى المسيحية التي كانوا حرموا منها ظلماً، ونص على إن تعاد للكنيسة كل أماكن عبادتهم والأراضي العامة المصادرة دون جدل أو إبطاء أو تكلفة. واقترن هذا الإنذار الصارم بوعد كريم يقضي بأن يدفع - لمن اشتروا أملاك الكنيسة ودفعوا مبالغ كبيرة - تعويض من خزانة الإمبراطورية.[7]

واختلف الباحثون في شرح الدوافع الحقيقية لاعتراف قسطنطين بالمسيحية، فالمؤرخ الكنسي يوسيبيوس Eusebius أسقف قيسارية بفلسطين وصديق الإمبراطور قسطنطين. يعتقد بأن دوافع الإمبراطور هي دوافع دينية أملتها الإرادة الإلهية. وهناك رواية تنسب - ربما خطأ - إلى يوسيبيوس إن قسطنطين قص عليه انه رأى سنة 312م قبيل خوضه معركة جسر ملفيان ضد خصمه ماكسنتيوس صليباً نورانياً على قرص الشمس يحيط بالأفق عند الغروب مكتوباً عليه بهذا ستنتصر.

---

[4] Vasiliev, Byzantine Empire, I, p 49.
محمود سعيد عمران: معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، دار النهضة العربية (بيروت، 1981) ص25-26.
[5] Oman, C.W. 1914. The Byzantine Empire. London, p 27.
[6] Ashour, S. & Rabie, H. 1971. Fifty Documents in Medieval History. Cairo, pp 9-10.
[7] Vryonis, S. 1967. Byzantium and Europe. London, pp 22-23.

ثم راء المسيح في الليلة الثانية في حلم حاملاً نفس العلامة مخبراً الإمبراطور بأن يتقدم إلى المعركة بالصليب.[8] وعند الفجر قص قسطنطين حلمه على رفاقه. ويقال إن الصليب كان مرسوماً على دروع رجاله عندما خاضوا غمار معركة Milvian Bridge التي أتاحت له السيادة على الغرب، وبالتالي اعتقد قسطنطين بأن إله المسيحيين أعطاه المساعدة والعون في نزاعه ضد خصمه ماكسنتيوس.[9]

ويقال أيضا إن تأثر الإمبراطور قسطنطين بالمسيحية يرجع إلى حد ما إلى دور أمه هيلانه التي اعتنقت المسيحية، واعتبرت فيما بعد قديسة (القديسة هيلانه). ويبدو إن هيلانه لعبت دوراً هاماً في اعتراف قسطنطين بالمسيحية، وعملت على رفع شأنها في جميع إنحاء الإمبراطورية بعد سنة 313م، فزارت بيت المقدس، حيث وزعت العطايا بسخاء، وساهمت في تشييد الكثير من الكنائس. ويقال أنها أثناء زيارتها لبيت المقدس اكتشفت صليب الصلبوت. ولم يذكر أحد من المؤرخين المعاصرين شيئا عن دور هيلانه في مسألة العثور على خشبة الصليب، كما يرجح بعض الباحثين أنها توفيت قبل اكتشافه.[10]

ويري البعض إن سياسة قسطنطين الدينية قد أملتها ضرورات سياسة، وأنه أدرك بذكائه إن المسيحية سوف تصبح قوة عالمية.[11] والدليل على ذلك أنه أدرك إن اضطهاد المسيحية لم يعق انتشارها بل ازداد المسيحيون تمسكاً بها. يضاف إلى ذلك إن قسطنطين أدرك إن دعوة المسيحية للمساواة والسلام والمحبة والإيثار تحتم ضرورة إتباع سياسة ايجابية نحوها حتى تستطيع إن تملا حاجات الناس النفسية مع قصور الوثنية. يضاف إلى ذلك إن قسطنطين وجد إن الإمبراطورية سوف تعتمد بشكل رئيسي في مواردها المالية على ولاياتها في أسيا الصغرى والشام ومصر، حيث انتشرت المسيحية بعد مخاطر القوط والفرس وغيرهم، مما رأى معه ضرورة كسب ولاء سكان الولايات الشرقية حفاظاً على وحدة الإمبراطورية.

وكيفما كان الأمر، فاعتراف قسطنطين بالمسيحية يعني تثبيت دعائمها وتمهيد الأرض لازدهارها. حيث منح الإمبراطور رجال الدين المسيحيين نفس الحقوق والامتيازات التي كان يتمتع بها كهنة الديانة الوثنية، واعفوا من الضرائب وتأدية الوظائف المدنية حتى يتسنى لهم تأدية واجباتهم الدينية. وازدادت الكنائس غنى نتيجة ما كان يصل إليها من هدايا وأموال وهبات وأراض وأملاك من الدولة ومن سكان الإمبراطورية. واعفي المسيحيون من حضور الاحتفالات الوثنية. ويقال إن قسطنطين أمر بتشييد عدد كبير من الكنائس في إنحاء الإمبراطورية مثل كنيسة القديس بطرس في روما وكنيسة الصعود على جبل الزيتون وكنيسة المهد في بيت لحم. وزين قسطنطين فيما بعد

---

[8] يوسيبيوس Eusebius: ولد حوالي سنة 260م في فلسطين، واضطهد وسجن في قيسارية سنة 309م. وفي سنة 313م وبعد انتصار المسيحية اختير أسقفا لمدينة قيسارية وأصبح من اعلم واشهر رجال عصره ومن المقربين إلى الإمبراطور قسطنطين، كما اشترك في مجمع إنطاكية سنة 331م وغيره من المجامع الكنسية. وكان Eusebius عالما وأديبا عظيماً كتب كتاباً مهماً في التاريخ الكنسي وآخر عن حياة قسطنطين فضلاً عن كتاباته في المسائل اللاهوتية والعقائدية، ومات سنة 340م. أنظر:
Eusebius. 1926. The Ecclesiastical History. London. Introduction, pp ix- xxvii.

[9] Vasiliev, Byzantine Empire, I, p 50.

[10] اسحق عبيد: قصة عثور القديسة هيلانه على خشبة الصليب أسطورة أم واقع؟ المجلة التاريخية المصرية - مجلد17 – 1970 - ص5-21.

[11] Vryonis. Byzantium and Europe, p 24.

عاصمته الجديدة القسطنطينية بعدد من الكنائس، اشهرها كنيسة الرسل وغيرها، كما تم في عهد قسطنطين تشييد كنائس في أماكن أخرى في إنطاكية ونيقوميديا وشمال افريقية.[12]

ومن الجدير بالذكر إن الإمبراطور قسطنطين رأى - بعد اعترافه بالمسيحية كديانة من الديانات المعترف بها في الإمبراطورية - إن وحدة وإحياء الإمبراطورية تعتمدان على وحدة الكنيسة، وبالتالي استخدم قوة الإمبراطورية وعظمتها في محاولة لرىء الصدع في النزاع الذي بدأ يظهر وقتذاك بين رجال الدين. وتصرف قسطنطين لا كإمبراطور روماني Pontifex maximus بل كإمبراطور وبابا بيزنطي في إن واحد Byzantine Caesaropapism والدليل على ذلك إن الإمبراطور قسطنطين عندما عقد في سنة 325م في مدينة نيقيه Nicaea أول مجمع ديني مسكوني (عالمي) ليبحث رجال الدين العقيدة وشئون الكنيسة، هو الذي بدأ بالدعوة إلى هذا المجمع، ودعا الأساقفة إلى نيقيه وجعلهم في ضيافة الإمبراطورية، وترأس جلسات المجمع ووجه قراراته، وفرض على الأساقفة القرارات اللاهوتية التي فضلها، وترك بذلك بصمات واضحة على علاقات الكنيسة بالإمبراطورية في الشرق. ومعنى هذا إن الإمبراطور البيزنطي أصبح سيد الكنيسة والمتحكم في شؤونها، مما كان له أثر كبير في تاريخ الكنيسة الشرقية.[13]

وتجدر الإشارة إلى إن هذا التعاون بين الكنيسة والإمبراطورية الذي بدأه قسطنطين قد أدى إلى كثير من المشاكل، إذ أصبحت الإمبراطورية البيزنطية منذ ذلك الحين مجبرة على إن تكون طرفاً في كل الخلافات والمنازعات الكنسية، وبالتالي لم تعد الخلافات المذهبية من خصوصيات الكنيسة وحدها، بل كانت تتأثر بالظروف السياسية.

وبعد إن اعترف قسطنطين الكبير بالمسيحية كديانة من ديانات الإمبراطورية كان لابد لاكتمال ظهور الإمبراطورية البيزنطية إن تشيد مدينة مسيحية الصبغة لتكون عاصمة للإمبراطورية بدلاً من روما التي ظلت حصنا للوثنية إلى وقت ليس بقصير، لهذا نقل قسطنطين عاصمة الإمبراطورية إلى شواطئ البوسفور في الشرق وهي القسطنطينية. ومن المعروف إن بعض أباطرة الرومان حاولوا منذ عهد يوليوس قيصر (قتل سنة 44 ق.م) الانتقال بعاصمتهم إلى الشرق. فقد فكر يوليوس قيصر في جعل الإسكندرية أو طروادة في أسيا الصغرى عاصمة له. وسبق القول بأن دقلديانوس جعل مقر حكمه مدينة نيقوميديا في آسيا الصغرى عندما احتفظ لنفسه بالجزء الشرقي من الإمبراطورية.[14]

2. ظهور المذاهب الدينية المسيحية في الإمبراطورية البيزنطية:

شغلت قضية الثالوث التي أثارها القس السكندري آريوس علماء اللاهوت وكذلك الأباطرة لأكثر من نصف قرن من الزمان. حيث أن آريوس أنكر إلوهية المسيح وأنكر صفة الشبه بين الأب والابن، ورفض مجمع نيقيه 325م آراء آريوس. ولعبت الأريوسية دوراً مهماً خلال حكم الإمبراطور فالنس، غير إن موت هذا الإمبراطور سنة 378م أمام القوط أعطى ضربة قاسية

[12] حسنين محمد ربيع: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية (القاهرة، 2000) ص27-28.
[13] Hussey, J. M. 1967. The Byzantine World. 3rd edition. London, p 12.
[14] Ostrogorsky. 1956. History of the Byzantine State. Trans- by Jon Hussey. Oxford, p 44.

للمذهب الأريوسي. فعندما تولى ثيودوسيوس الأول عرش الإمبراطورية سنة 379م ضيق الخناق على الأريوسيين الهراطقة والوثنيين، وأصدر قرار سنة 380م أعلن فيه إن المسيحي الحق هو الذي يؤمن بالثالوث: الأب والابن والروح كما بشرت به الأناجيل وكتابات الرسل، أما ما عداهم فهم الهراطقة (المعتوهون) ليس من حقهم إن يطلقوا على أماكن عباداتهم كلمة كنائس وهم معرضون للعقاب الشديد والاضطهاد.[15] وفي السنة التالية 381م دعا الإمبراطور ثيودوسيوس إلى مجمع ديني مسكوني في القسطنطينية، وهو المجمع المسكوني الثاني الذي رأسه أسقف إنطاكية ولم يحضره احد من كنيستي روما والإسكندرية. وأعاد هذا المجمع التأكيد على المذهب الأثناسيوس، وأوصى باعتبار الأريوسية هرطقة. وأكد قرارات مجمع نيقيه 325م. وقرر هذا المجمع أيضا رفع كنيسة بيزنطة إلى المرتبة الثانية بعد كنيسة روما، إي وضع كنيسة القسطنطينية قبل كنيسة الإسكندرية، وبالتالي صار أسقف كنيسة القسطنطينية "يتمتع بالشرف الذي يتلو الشرف الذي يتمتع به أسقف روما، لان القسطنطينية هي روما الجديدة". وهكذا أصبح الإمبراطور ثيودوسيوس وكأنه المسئول الأول عن شئون الكنيسة.[16]

واتخذ الإمبراطور ثيودوسيوس الأول أيضا خطوات صارمة ضد الوثنيين، فقد منعهم من تقديم القرابين لإلهتهم، وأمر بإغلاق الكثير من معابدهم. وأصدر سنة 392م قراراً منع بموجبه الوثنيين من تقديم القرابين وإحراق البخور في معابدهم وما إلى ذلك. واعتبر كل من يقوم بهذه الإعمال قد ارتكب جرماً ضد الإمبراطور والدين وبالتالي يجب توقيع العقوبات الشديدة عليه. وألغى قرار الإمبراطور وجود الوثنية كدين معترف به وأشار إليها على أنها (خرافة).[17]

ثم قام الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني ابن أركاديوس (408-450م) بتوجيه ضربة عنيفة ضد مدرسة أثينا الوثنية مثلما فعل جده ثيودوسيوس الأول من قبل. ففي سنة 425م أصدر هذا الإمبراطور قرارا بتأسيس معهد علمي مسيحي في القسطنطينية ينافس بأساتذته وطلابه معهد أثينا الوثني الذي كان لا يزال تدرس فيه الفلسفة اليونانية. والحقيقة إن القسطنطينية منذ أصبحت عاصمة للإمبراطورية في عصر الإمبراطور قسطنطين وفد إليها كثير من علماء البلاغة والفلسفة من افريقية والشام وغيرهما. حتى أصبحت قبل عصر ثيودوسيوس الثاني اكبر مركز ثقافي في الإمبراطورية. وفي سنة 425م أصدر الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني قراراً بتنظيم مدرسة عالية كانت قد نشأت في القسطنطينية، وتولى التدريس فيها واحد وثلاثون أستاذاً قاموا بتدريس النحو والبلاغة والقانون والفلسفة. وعلى الرغم من إن اللغة اللاتينية كانت لا تزال اللغة الرسمية في الإمبراطورية، إلا إن قرار ثيودوسيوس أمر بإنشاء كراسي للغة اليونانية التي أصبحت اللغة الشائعة في الجانب الشرقي للإمبراطورية. وأدى ذلك إلى زيادة الاهتمام بتدريس اللغة اليونانية في جامعة القسطنطينية أكثر من الاهتمام بتدريس اللاتينية. وأصبح ذلك المركز التعليمي في القسطنطينية أكثر من الاهتمام بتدريس اللاتينية. ومنافساً خطراً لمدرسة أثينا الوثنية التي بدأت

[15] Vasiliev, Byzantine Empire, I, p 80.
[16] Daoud, D. A. 1964. Alexandria and the Early Church Councils. Cahirs d'Alexandrie. Serie II. pp 57.
[17] Eusebius. 1965. The history of the Church from Christ to Constantine. Trans- by Williamson, G.A. Middlesex, p 111.

تتداعي وتضمحل بسبب انتصار المسيحية. وسرعان ما أصبحت جامعة ثيودوسيوس الثاني نواة للثقافة ومركزاً للحضارة البيزنطية.[18]

وهدأت الأريوسية بالتدريج في الشرق ولكن ظهر جدل كنسي جديد أثر على مجريات الأمور في الإمبراطورية البيزنطية اكبر من الأثر الذي خلفته المشكلة الأريوسية. ونشأ هذا الجدل الكنسي نتيجة الاختلاف الكبير في تعاليم المدرستين الدينيتين في إنطاكية والإسكندرية. فإذا كان المذهب الأريوسي قد أنكر إلوهية المسيح فقد دار الجدل الجديد في مسألة علاقة الطبيعة البشرية في المسيح بطبيعته الإلهية. ورأت مدرسة إنطاكية الدينية في أواخر القرن الرابع الميلادي إن للمسيح طبيعتين منفصلتين طبيعة إلهية وطبيعة بشرية تعيشان جنباً إلى جنب، فالمسيح - في رأي هذه المدرسة - هو الوعاء الذي اختاره الله ليضع فيه الطبيعة الإلهية، وهو في نفس الوقت ابن للسيدة مريم العذراء، فالمسيح بشر فيه طبيعة إلهية، ومريم ليست أم آله ولكنها أم المسيح. وكانت مدرسة الإسكندرية بقيادة البطريك كيرلس الأول Cyril (430-463م) تعارض هذا الرأي وتقول بان الله خلق إنساناً ووضع فيه طبيعتين إلهية وبشرية، فاتحدت الطبيعتان معاً في شخصيته "وأصبح في المسيح اقنوماً واحداً وطبيعة واحدة بعد الاتحاد بدون اختلاف ولا امتزاج ولا استحالة".[19]

وفي سنة 428م أصبح نسطوريوس Nestorius بطريركاً لكنيسة القسطنطينية. وكان نسطوريوس سوري الموطن واحد إتباع مدرسة إنطاكيا اللاهوتية. فاستغل مركزه الديني الكبير للدعوة لأفكار وآراء مدرسة إنطاكية التي تقول بوجود طبيعتين في المسيح بشرية وإلهية منفصلتين عن بعضهما البعض. هذا في الوقت الذي أيد فيه الرهبان في مصر أسقف الإسكندرية كيرلس الأول، كما كان يؤيده رجال الدين في روما. وبالتالي أصبحت قضية طبيعة المسيح تلعب دوراً هاماً في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية وفي علاقتها بكنيسة روما، وفي علاقتها بالولايات الشرقية التي ازداد فيها مذهب الطبيعة الواحدة قوة وانتشارا. وفي سنة 431م انعقد في مدينة افيسوس Ephesus المجمع المسكوني الثالث لبحث هذا الخلاف الكبير حول طبيعة المسيح. وحكم المجمع على نسطوريوس أسقف القسطنطينية بالزندقة والإلحاد لأنه أصر على إنسانية المسيح، واتهم بتقسيم شخصية المسيح إلى الكلمة المقدسة والمسيح الإنسان، فأحرز كيرلس بذلك نصراً كبيرا فقد انتصر على بطريرك عاصمة الإمبراطورية البيزنطية نفسها. ووصلت كنيسة الإسكندرية بذلك إلى درجة كبيرة وتطلعت إلى زعامة الكنيسة الشرقية. وبعد موت كيرلس سنة 444م سار خليفته ديوسقورس Dioscorus على خطاه، وحافظ على ما وصلت إليه كنيسة الإسكندرية من مكانه ودرجة عالية. وسانده اوتيخا Eutyches احد رجال الكنيسة في القسطنطينية الذي كان مقرباً للإمبراطور.[20]

---

[18] Vasiliev, Byzantine Empire, I, p 100-101.
أصدر ثيودوسيوس بعد ذلك سنة 438م مجموعته القانونية Codex Theodosianus التي تعتبر حدثا هاما في تاريخ التشريع الروماني قبل جستنيان. وبرهن ثيودوسيوس الثاني في مجموعته القانونية على ما حققته المسيحية من تأثير في ميدان التشريع وتغيير في الحياة الاجتماعية وغيرها للإمبراطورية. واشتملت هذه المجموعة على التشريعات القانونية التي صدرت منذ عهد قسطنطين الكبير إي منذ الاعتراف بالمسيحية حتى القوانين التي أصدرها ثيودوسيوس. وبالإضافة إلى أهمية هذه المجموعة كمصدر مهم لتشريعات جستنيان فيما بعد، فقد صدرت خلال فترة الغزوات الجرمانية لغرب أوروبا فأثرت بطريق مباشر أو غير مباشر على التشريعات الجرمانية، مثل قوانين القوط وغيرهم، وصبغتها بالصبغة المسيحية، انظر:
Ostrogorsky. History of the Byzantine State, p 56.

[19] ميشيل جرجس: الكنيسة المصرية، ، دار النهضة العربية (القاهرة، 1958م) ص71-72.

[20] Daoud. Alexandria and the Early Church, pp 57.

وهكذا اغفل رجال كنيسة الإسكندرية من إتباع كيرلس الطبيعة البشرية في المسيح، وأعلنوا انه على الرغم من وجود طبيعتين للمسيح إلا إن اللاهوت والناسوت اتحدا اتحاداً تاماً وكان هو المذهب المونوفيزتي Monophysitism الذي جعل للمسيح طبيعة واحدة لها صفات وخصائص الطبيعتين "فاللاهوت والناسوت متحدان فيه اتحاداً تاماً في الجوهر وفي الاقنوم وفي الطبيعة، ليس هناك انفصال أو افتراق بين اللاهوت والناسوت في المسيح. وعارضت كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية مذهب الطبيعة الواحدة. وعندما زاد الخلاف حث ديوسقورس الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني على عقد مجمع في افيسوس سنة 449م. ورأس ديوسقورس هذا المجمع، وقرر صحة مذهب اوتيخا المونوفيزتي الذي أنكر فيه ناسوت المسيح (الطبيعة البشرية) إنكارا تاما "وان للمسيح طبيعة واحدة، وان ناسوت المسيح قد تلاشى تماماً في لاهوته، اختلط به وانعدم فيه، مثل نقطة الخل عندما تختلط بالمحيط". وسرعان ما انتشر الاضطراب في العالم المسيحي، فقد شن البابا ليو حرباً ضد هذا المجمع حتى اسقط من عداد المجامع المسكونية وعرف باسم مجمع اللصوص Latrocinium.[21]

وفي السنة التالية لمجمع افيسوس إي سنة 450م مات الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني دون إن يترك وريثاً، فخلفه على عرش الإمبراطورية مارقيان Marcian زوج أخته بولكيريا Pulcheria. وكان مارقيان قائداً عسكرياً قديراً حكم الإمبراطورية فيما بين سنتي 450-457م. وحاول هذا الإمبراطور - ربما تحت تأثير زوجته بولكيريا - إن يقضي على الخلاف الديني الذي هدد وحدة الإمبراطورية البيزنطية ومكانتها. لهذا دعا مارقيان سنة 451م إلى عقد مجمع مسكوني في خلقدونية لبحث شئون العقيدة. وانعقد المجمع وهو المجمع المسكوني الرابع، وحضره عدد كبير من ممثلي الكنائس المسيحية، بما في ذلك ممثلون من قبل البابا ليو الأول العظيم. وأدان مجمع خلقدونية قرارات مجمع اللصوص في افيسوس، وأدان أسقف الإسكندرية ديوسقورس، وحكم المجمع بعزله ونفيه، ووجه اللوم أيضا إلى يوطيخا. وأنكر المجمع ورفض المذهب المونوفيزتي إي مذهب الطبيعة الواحدة، وقرر إن خلاص البشر يأتي عن طريق منقذ هو في نفس الوقت إله له كل صفات الإلوهية، وإنسان له كل صفات الإنسان "طبيعتان بدون تغيير أو انقسام". وأجاز المجمع الصيغة التي نقحها البابا ليو وأوردها في رسالته العقيدية المسماة Tomos التي فند فيها آراء اوتيخا وديوسقورس والتي ورد فيها "هناك طبيعتان في المسيح يجب تمييز إحداهما عن الأخرى حتى بعد تجسده، وهما الطبيعة الإلهية والطبيعة البشرية، وقد ظل الاختلاف بينهما باقياً بالرغم من وحدة الشخصية". وهذه الصيغة أصبحت قاعدة التعاليم الدينية للكنيسة الأرثوذكسية.

تفاقمت المشكلة الدينية في الإمبراطورية البيزنطية مع مرور الزمن، إذ ازداد مذهب الطبيعة الواحدة قوة في الأقاليم الشرقية، الأمر الذي أدى إلى اتساع شقة الخلاف بين القسطنطينية والولايات الشرقية التابعة لها. وقد حاول الإمبراطور زينون (474-491م) إن يوفق بين مسيحي الولايات الشرقية أتباع مذهب الطبيعة الواحدة وبين أتباع الطبيعتين. إي أتباع مجمع خلقدونية وان يجد حلاً وسطاً فنشر زينون في سنة 482م وبموافقة بطريرك القسطنطينية قراره المشهور المسمى الهينوتيكون Henoticon إي قرار الوحدة. واعترف هذا القرار بقرارات المجامع المسكونية الثلاث

[21] وهيب عطا الله جرجس: تعليم كنيسة الإسكندرية فيما يختص بطبيعة السيد المسيح (القاهرة، 1961) ص15-16.

الأول (نيقيه 325م، القسطنطينية 381م، افيسوس 431م) - كما سنرى لاحقا - وتجنب قرار الوحدة إي إشارة تشين تعاليم الطبيعة الواحدة أو تعاليم الطبيعتين، وعدم ذكر كلمات الطبيعة الواحدة والطبيعتين. ورفض القرار رفضاً لبقا ما كان قد اقره المجمع الخلقدوني عن اتحاد الطبيعتين في المسيح. غير إن قرار الوحدة هذا لم يرضي إي من الطرفين، فلم يرضي أتباع مذهب الطبيعتين بالتنازلات التي منحت للمونوفيزتيين، ورأى أتباع المذهب المونوفيزتي عدم وضوح القرار واحتوائه على تنازلات غير كافية. لهذا لم يوحد قرار الوحدة الذي أصدره الإمبراطور زينون الصفوف بل زاد من شقة الخلاف والانقسام والتفرقة بين أتباع الطبيعة الواحة وأتباع الطبيعتين. وتدخل بابا روما في هذا النزاع الجديد، فأعلن رفضه لقرار الوحدة، وأصدر قرار الحرمان ضد بطريرك القسطنطينية اكاكيوس Acacius في مجمع ديني عقد في مدينة روما. ورد البطريرك على هذا بان امتنع عن ذكر اسم البابا أثناء تأدية الطقوس الدينية، وبدأت صفحة جديدة من النزاع مع البابوية دامت أكثر من ثلاثين عاما.[22]

واستفحلت المشكلة وزاد الخلاف الديني مع مضي السنين. فعندما توفي زينون سنة 491م وقع الاختيار على أنستاسيوس الأول Anstasius I لتولي عرش الإمبراطورية. ووجد الإمبراطور الجديد الخلاف على أشده بين أتباع المذهبين، وأعلن في بداية الأمر انه من أنصار المذهب الارثودكسي (مذهب الطبيعتين) إرضاء لبطريرك القسطنطينية، غير انه تحول بعد قليل إلى تأييد المذهب المونوفيزتي (مذهب الطبيعة الواحدة). وفرح الأقباط في مصر والسوريون بهذا التحول في موقف الإمبراطور، إلا إن سياسته في معاملة المونوفيزتيين أدت إلى تذمر الناس، وسخطهم، والى اندلاع الاضطرابات والفتن في القسطنطينية لدرجة إشعال الحرائق في المباني العامة وتحطيم تمثال الإمبراطور، والتظاهر ضده في ميدان السباق، وتعرضه للشتائم والقذف بالحجارة. وأدت سياسة أنستاسيوس الدينية إلى قيام القائد فيتاليان Vitalian بفتنة في تراقيا. وقاد فيتاليان جيشا مكونا من الهون والبلغار، ومن المحتمل من الصقالبة أيضا، وتقدم نحو القسطنطينية بمساعدة أسطول كبير. ولا شك إن غرضه كان سياسياً لعزل الإمبراطور، غير انه أعلن انه قام للدفاع عن الكنيسة الارثودكسية المغلوب على أمرها. ولم يستطع أنستاسيوس القضاء على هذه الفتنة إلا بعد صراع مرير، غير إن فيتاليان كشف للبرابرة مواطن ضعف الإمبراطورية وثراء القسطنطينية.[23]

وفي سنة 518م مات الإمبراطور أنستاسيوس دون وريث، وسادت الإمبراطورية البيزنطية فترة اضطراب انتهت بتولية جستين الأول Justin I عرش الإمبراطورية في نفس السنة. وكان جستين يشغل وظيفة الحرس الإمبراطوري. ولم يكد يتولى الإمبراطورية حتى حاول القضاء على الخلافات الدينية، فأعلن تأييده ومساندته لقرارات خلقدونية، واضطهد أتباع مذهب الطبيعة الواحدة اضطهاداً شديداً، وأعلن جستين استئناف العلاقات الودية مع كنيسة روما قاضياً بذلك على القطيعة التي كانت قائمة بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية منذ قرار الوحدة الذي أصدره زينون.[24]

---

[22] Vasiliev, Byzantine Empire, I, p 108-109.

[23] نورمان بينز: الإمبراطورية البيزنطية - ترجمة حسين مؤنس ومحمود يوسف، لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة، 1957) ص101.

[24] Vasiliev, Byzantine Empire, I, p 130.

ورغم إن جستين كان مؤيداً لمذهب الطبيعتين مذهب مجمع خلقدونية، واخذ على عاتقه محاربة المذهب المونوفيزتي في داخل الإمبراطورية، إلا انه اتبع سياسة مساعدة المسيحية خارج الإمبراطورية ضد إي خطر مهما كان مذهبه. والدليل على ذلك إن هذا الإمبراطور ساند وساعد مملكة اكسوم Axum الحبشية في غزوها لليمن، رغم إن مملكة الحبشة كانت تتبع مذهب الطبيعة الواحدة. وقد غزا الأحباش بلاد اليمن اثر حملة الاضطهاد التي قادها أخر ملوك حمير (ذو نواس) ضد المسيحيين في بلاده. فبعد إن تسربت المسيحية إلى بلاد اليمن اشتدت المنافسة بين النصارى واليهود. ورأى ذو نواس في انتشار المسيحية في بلاده قوة للأحباش، فأوقع بالنصارى سنة 523م في مذبحة نجران الشهيرة، ثم جمع من نجا منهم وخيرهم بين القتل واعتناق اليهودية فاختاروه القتل، فخد لهم أخدود النار ذات الوقود ورد ذكره في القرآن الكريم في سورة البروج: ۞ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (4) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (5) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (6) وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (7). وكان لمساعدة جستين للأحباش اثر كبير على العلاقات بين مملكة الحبشة والإمبراطورية البيزنطية، وقام بينهما تحالف قوي دام زمناً طويلاً.[25]

أما بالنسبة للمذهب المونوفيزتي إي مذهب الطبيعة الواحدة فقد تأصلت جذوره بتوالي السنين في مصر والشام لدرجة إن أباطرة القرنين السادس والسابع الميلادي اتبعوا سياسة الاضطهاد أحياناً ومحاولة الوفاق أحياناً أخرى في محاولات فاشلة لجلب أتباع مذهب الطبيعة الواحدة إلى حظيرة كنيسة القسطنطينية إي كنيسة الإمبراطورية البيزنطية. غير إن النتائج السياسية لهذا الخلاف الكنسي أدى إلى اتساع الفرقة الثقافية داخل الإمبراطورية البيزنطية مما سهل فيما بعد للعرب الفاتحين من فتح الشام ومصر لما عرف عن المسلمين من تسامح في أمور العقيدة.[26]

3. المجامع الدينية المسيحية:

المجامع هيئات شورية في الكنيسة المسيحية، رسم الرسل نظامها في حياتهم، إذ عقدوا المجمع الأول في بيت المقدس أو ما يسمى أورشليم Jerusalem سنة 105م برئاسة الأسقف "يعقوب الرسول" للنظر في ختان الأممي (غير اليهود) ثم نسجت الكنيسة على منوالهم.

والمجامع قسمان: مجامع مسكونية (إي عالمية مسكونية نسبة إلى الأرض المسكونة). ومجامع محلية أو مكانية، وقد عقدت المجامع المسكونية عدة مرات في القرون الأولى، وشهدها ممثلو الكنائس من جميع الأقطار وكان السبب الرئيسي لعقدها ظهور مذاهب دينية غريبة ينبغي فحصها وإصدار قرارات بشأنها وشان مبتدعيها، وقد عقد من المجامع المسكونية عشرون مجمعاً ابتداء من مجمع نيقيه 325م حتى مجمع الفاتيكان سنة 1869م ولا يعترف الأرثوذكس إلا بقرارات المجامع السبع الأولى التي كان أخرها مجمع نيقيه الثاني سنة 787م ومن أهم المجامع مجمع نيقيه الأول، وفيهما تقررت العقائد الرئيسية للمسيحية التي تلتقي حولها جميع الفرق والمذاهب المسيحية (إلوهية المسيح وإلوهية روح القدس واستكمال عقيدة التثبيت بذلك).

---

[25] القرآن الكريم: سورة البروج، آيات 4-7.

[26] Vasiliev, Byzantine Empire, I, p 131.

وأما المجامع المكانية فكثيرة. وكانت الكنائس ولا تزال تعقدها في حيزها الخاص لإقرار عقائد معينة، أو رفض بعض العقائد، أو للنظر في بعض الشئون المحلية.[27] ولعل من الخير ونحن على ذكر بكثير من المجامع إن نلم إلمامه قصيرة شاملة بأهم المجامع المسيحية، مسكونية أو محلية (انظر إلى جدول رقم (1) بخصوص أسماء المجامع الدينية، وسنوات انعقاد تلك المجامع) وان نبين ما اتخذته من قرارات، وفيما يلي هذا الحديث عنها:

1- مجمع نيقيه: عقد مجمع نيقيه **Nicaea** سنة 325م، ويعد مؤتمر نيقيه أهم المجامع المسيحية، إذا اتخذت فيه اخطر القرارات، وكان عقده بأمر الإمبراطور قسطنطين الكبير.

وكانت أهم القضايا التي بحثها مجمع نيقيه المسكوني آراء أحد كهنة مدينة الإسكندرية ويدعى آريوس Arius السكندري حوالي (250-336م) الذي كان يقول بأن المسيح مخلوق بشر، وأنه أقل من الأب في الجوهر، وبالتالي فانه أقل منه مرتبة. وأضاف بأنه لابد أن يكون هناك وقت لم يكن فيه المسيح مخلوقاً، وكان فيه الله الخالق وحده. فأنكر آريوس إلوهية المسيح، وأنكر صفة الشبه بين الأب والابن، وأثار بذلك عاصفة من الاحتجاج والانقسام في العالم المسيحي، مما جعل الإمبراطور قسطنطين يهتم بأمر هذا الانشقاق ويوجه الدعوة إلى جميع الأساقفة في الإمبراطورية للاجتماع في مجمع مسكوني في نيقيه. ولبى الدعوة 318 أسقفاً من أساقفة العالم المسيحي منهم أساقفة روما والإسكندرية وقرطاجنة وإنطاكية ونيقوميديا وغيرهم. ودامت جلسات المجمع سبعة وتسعين يوماً برئاسة الإمبراطور قسطنطين.[28] ولعب الشماس السكندري أثناسيوس Athanasius الذي لم يكن يتجاوز - وقتذاك - التاسعة والعشرين من عمره دوراً مهماً في هذا المجمع. فقد شرح هذا الشماس السكندري الذي صار فيما بعد أسقفاً لكرسي الإسكندرية، لممثلي كنائس العالم معنى الإيمان، ثم فند آراء آريوس في براعة وإقناع. ورأى أثناسيوس أن آراء الأريوسيين مصيرها إلى الزوال والفناء لأنه : "كما إن الأب أزلي يجب إن يكون الابن أيضاً أزلياً، لان كل مانراه في الأب يجب إن يكون بلا جدال في الابن، الأب نور والابن شعاع ونور حقيقي، الأب آله حق والابن آله حق".[29]

وأخيرا رفض المجمع أراء آريوس وقرر إن الابن إي المسيح من نفس جوهر الأب Homoousios وبالتالي قرر قسي المسيح وانه آله حق من آله حق. وقرر المجمع حرمان آريوس ووضع قانوناً عاماً للإيمان المسيحي أوله (نؤمن بآله واحد) إي إن الثالوث واحد لا ينقسم، كما وضع قانوناً لأصل نظام الكنيسة وانتخاب رعاتها وتأديبهم. وقرر المجمع أيضا منع الزواج الثاني

---

[27] نورمان بينز: الإمبراطورية البيزنطية، ص102.

[28] Stanley, A. 1908. Lectures on the History of the Eastern Church. London, pp 52-60.
إن عدد الذين حضروا مجمع نيقيه أولاً من الإباء الروحانيين 2048 وان الخلاف اشتد بينهم حول القول بإلوهية المسيح ووصل الخلاف إلى المعارك، وتبنت الأغلبية الساحقة رأي آريوس، فأصدر الإمبراطور قراره بفض الاجتماع ثم أعيد عقد الاجتماع عقب ذلك ولم يحضره إلا الأعضاء القائلون بالتثليث وبإلوهية المسيح وعددهم 318 وحضر الإمبراطور نفسه، واتخذت فيه قرارات خطيرة وضعت الأساس للمسيحية التي لا تزال تتبعها الكنائس. انظر:
Nichols, R.H. 1941. The Growth of the Christian Church. Philadelphia, pp 55-56.
اسحق عبيد: الإمبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية مع دراسة في " مدينة الله " (القاهرة، 1972) ص83.
السيد الباز العريني: الدولة البيزنطية 323-1081م، دار النهضة العربية (بيروت، 1982) ص94-95.
ميشيل جرجس: الكنيسة المصرية، ص70-71.

[29] حسنين محمد ربيع: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص28-29.

لمن كان متزوجاً من رجال الدين المسيحي وماتت زوجته.[30] واختار المجمع الكتب المقدسة التي لا تتعارض مع القرارات السابقة وقرر تدمير ما عداها من الرسائل والأناجيل.[31]

2- مجمع صور Tyre وتجديد رأي آريوس عن الوحدانية: مجمع صور الإقليمي الذي عقد بعد ذلك ببضع سنوات وقرر وحدانية الله وان المسيح رسوله، فكان بذلك تجديداً لرأي آريوس القائل بالوحدانية، وهذا المجمع لم يعترف به.

3- مجمع القسطنطينية الأول سنة 381م وقد قرر هذا المجمع إن روح القدس إله.

4- مجمع افيسوس الأول Ephesus سنة 431م الذي تحدثنا عنه أنفاً والذي تقرر فيه إن المسيح طبيعة واحدة ومشيئة واحدة، وان العذراء ولدت إلهاً وتدعى لذلك أم الإله، وكان ذلك رداً على حركة نسطور.

5- مجمع افيسوس الثاني سنة 449م وقد عقد بأمر الإمبراطور ثيودوسيوس وناقش فلابيوس الذي اتهم بإحياء أراء نسطور ثم حكم بعزله ولم تعترف كنيسة روما بهذا المجمع.

6- مجمع خلقدونية Chalecodon سنة 451م وقد أيد المجمع قرار مجمع افيسوس الأول ورفض قرار افيسوس الثاني، ولعن نسطور وديوسقورس وإتباعهما، وكان هذا المجمع قد عقد أولاً في القسطنطينية ثم انتقل إلى خلقدونية، وقد حضره أساقفة روما، كما حضره البابا ديوسقورس بطريرك الإسكندرية ومعه أساقفته. وقد اشتد الخلاف بين الفريقين في اليوم الأول حتى إذا كان اليوم الثاني منع البابا ديوسقورس وأساقفته بالقوة من حضور الجلسة، واتخذ المجتمعون قراراً يقول بالطبيعتين، ورفض ديوسقورس طلب الإمبراطور الموافقة على هذا القرار، فنفاه الإمبراطور بعيدا عن مصر حيث مات في منفاه، وقد ظل أقباط مصر حتى ألان يرفضون قرارات هذا المجمع ويدينون بالولاء لبطريرك الإسكندرية.[32]

ويهمنا هنا القول بان مجمع خلقدونية رفع مرة أخرى من شان كنيسة القسطنطينية، وجعلها في درجة أعلى من كنيسة الإسكندرية. ومنح أعضاء مجمع خلقدونية أساقفة الكنائس الخمس لقب بطريرك وهي بالترتيب الخلقدوني: روما، القسطنطينية، الإسكندرية، إنطاكية، بيت المقدس. وكانت النتيجة المباشرة لقرارات مجمع خلقدونية هي ازدياد شقة الخلاف بين القسطنطينية وبين الولايات الشرقية التابعة لها. وكان لذلك نتائج سياسية خطيرة لم يتوقعها المشتركون في المجمع، فمعظم سكان مصر والشام، وهم من عناصر غير يونانية، كانوا من إتباع مذهب الطبيعة الواحدة إي المذهب المونوفيزتي، وتمسكوا بمذهبهم حتى بعد مجمع خلقدونية، ولم يميلوا حتى إلى الوفاق لدرجة إن الكنيسة القبطية المصرية منعت اللغة اليونانية عند إجراء الطقوس الكنسية، واستخدمت اللغة القبطية في قداستها، وسميت الكنيسة القبطية باسم الأرثوذكسية. وهكذا كان الخلاف بين مذهب الطبيعيتين الذي تؤمن به القسطنطينية ومذهب الطبيعة الواحدة التي تؤمن به الولايات الشرقية للإمبراطورية البيزنطية، النقطة التي ترتكز حولها الخلافات الكنسية والتي انطلقت منها معارضة

[30] أثناسيوس الرسولي: رسائل أثناسيوس عن الروح القدس - تعريب القس مرقس داود (بدون مكان، بدون تاريخ) ص86-88.
[31] زكي شنودة: موسوعة تاريخ الاقباط (القاهرة، بدون تاريخ) ج1، ص177.
[32] العريني: الدولة البيزنطية، ص95.

الأقباط والسوريين للحكم البيزنطي ورغبتهم في الخلاص منه أولاً ثم الترحيب بالفرس ثم بالعرب المسلمين فيما بعد.[33]

7- مجمع القسطنطينية الثاني سنة 553م وقد أيد قرارات مجمع نيقيه ومجمع القسطنطينية الأول ومجمع خلقدونية ولعن وطرد أصحاب الفكرة التي شاعت حينئذ عن تناسخ الأرواح وان شخص المسيح لم يكن حقيقة بل خيالاً.

8- مجمع القسطنطينية الثالث سنة 680م وقد قرر هذا المجمع إن للمسيح طبيعتين ومشيئتين، وكان ذلك رداً على المذهب الماروني الذي كان يقول بطبيعتين ومشيئة واحدة.

9- مجمع روما سنة 869م وفي هذا المجمع تقرر:

أ- اعتبار الروح القدس منبثق من الأب والابن.
ب- من يريد المحاكمة في أمر يتعلق بالمسيحية يرفع دعوى إلى كنيسة روما.
ج- المسيحيون في جميع بلاد العالم يخضعون لقرارات كنيسة روما.

10- مجمع القسطنطينية الذي عقد سنة 879م برئاسة فوسيوس بطريرك كنيسة القسطنطينية وفيه تقرر إن انبثاق الروح القدس من الأب فقط، وبهذا المجمع وسابقه تم انقسام الكنيسة إلى غربية وشرقية وأصبحت المجامع خاصة بإحداهما وتبطل قرارات الأخرى ولا تعترف بها.

11- مجمع روما الذي عقد سنة 1225م وفيه تقرر إن الكنيسة البابوية تملك الغفران وتمنحه لمن تشاء.

12- مجمع روما سنة 1869م وفيه تقرر إن البابا معصوم.

وهناك نقد سياسي يوجهه النقاد إلى قرارات المجمع التاسع (مجمع روما سنة 869م) إذ تقرر في هذا المجمع إن جميع المسيحيين في جميع بلدان العالم يخضعون لقرارات رئيس كنيسة روما، ومثل هذا القرار يعتبر خطراً للغاية، انه تدخل سافر في شئون الأمم واستقلال الدول، فمعناه إن المسيحيين أيا كانت بلادهم يتبعون حكوماتهم بأجسامهم ويتبعون كنيسة روما بأرواحهم، وقد كان البابا يخضع الملوك والحكومات إليه باسم هذا القرار، فتمردت بعض الحكومات على هذا الوضع وأعلنت أنها لا دينية، فاتجه البابا بقراره إلى الرعايا بعد إن عجز عن إخضاع الحكومات، وفي العصر الحديث نجد البابا يساوم بهذه السلطة التي بيده، فقد حدث إن قابل البابا رئيس جمهورية اندونيسيا السابق وطلب من هذا الرئيس السماح لعدد اكبر من المبشرين بدخول بلاده، ووعده نظير ذلك إن يضمن له ولاء المسيحيين بهذه البلاد، وقد أثار هذا التصريح ثائرة المواطنين عندما أدركوا إن ولاء المسيحيين من مواطنيهم إنما هو في يد رئيس كنيسة روما.[34]

---

[33] عن مجمع خلقدونية أنظر:
Daoud. Alexandria and the Early Church, pp 61-63.

[34] سعيد عبدالفتاح عاشور: أوربا العصور الوسطى (النهضات والحضارة والنظم) مكتبة الانجلو (القاهرة، 1986) ج2، ص227.

ويعد من اصدق القول ما كتبه الأستاذ زكي شنودة في تعليقه على"المجامع" ونحن نقتبسه فيما يلي: «كانت هذه المجامع في بداية أمرها وسيلة للدفاع عن الإيمان المسيحي، ثم لم تلبث إن أصبحت بعد ذلك أداة في يد الإمبراطور، لتنفيذ إغراضه، مستغلا في ذلك مطامع بعض الأساقفة وطموحهم إلى النفوذ والسلطان، وهكذا أصبحت المجامع أداة هدم بعد إن كانت أداة بناء، فقد فتحت الباب على مصراعيه للخصوم والشقاق بين المسيحيين في البلاد المختلفة».[35]

وتمثل المجامع الكنسية ركناً مهماً من أركان التنظيم الكنسي في العصور الوسطى. والواقع إن انتشار المسيحية، وما صحبه من اتساع نفوذ الكنيسة استلزم عقد كثير من المجامع الدينية منذ القرن الرابع لحل المسائل المعقدة التي صحبت انتشار المسيحية من جهة ولتنظيم شئون الكنيسة وتدعيم نفوذها من جهة أخرى.[36] وهنا نشير إن الكنيسة لم تكن أول من ابتكر فكرة عقد المجامع أو صاحبة الفضل في ظهورها، بل فكرتها ظهرت من أصحاب الديانة الوثنية واليهودية.[37]

وإذا كانت معظم المراجع التاريخية قد ركزت اهتمامها في المجامع العالمية المسكونية السبعة الأولى إلا وهي مجمع نيقيه سنة 325م. ومجمع القسطنطينية سنة 381م. ومجمع افيسوس سنة 431م. ومجمع خلقدونية سنة 451م. ومجمع القسطنطينية الثاني سنة 553م. ومجمع القسطنطينية الثالث سنة 680م. ومجمع نيقيه الثاني سنة 787م. فانه من الثابت إن إحداث العصور الوسطى شهدت - عدا المجامع السابقة - عدداً من المجامع الدينية التي لها الأثر العظيم في التاريخ الأوروبي بوجه عام والتاريخ الكنسي بوجه خاص.[38]

ومن هذه المجامع ما اتخذ طابعاً عاماً عالمياً فحضرها الأساقفة من جميع إنحاء العالم المسيحي ليتدارسوا سوياً المشاكل التي واجهتهم في مناطق نفوذهم أو ليبحثوا أوجه الخلاف فيما بينهم ويزيلوا ما قد يكون هناك من سوء الفهم عن طريق الحجة والإقناع. وخير مثل لهذا النوع من المجامع مجمع القسطنطينية الثاني سنة 553م الذي أجتمع بسبب الخلاف حول تفسير بمعنى المسائل اللاهوتية ومجمع القسطنطينية الثالث سنة 680م الذي أدان مذهب الطبيعة الواحدة، ومجمع نيقيه الثاني 787م الذي أدان اللا ايقونيين، ثم مجمع القسطنطينية الرابع سنة 869م الذي قرر إدانة البطريرك فتيوس وعزله. ومنذ ذلك الوقت أصبحت المجامع الدينية التي تعقد في الغرب لا تختص إلا بشئون الكنيسة الغربية، وان كان اسم مسكوني أو عالمي قد أطلق أيضا على مجامع اللتران البابوية Lateran Councils وهي التي عقدت بالكاتدرائية والبابوية في روما سنوات 1123م، 1139م، 1179م، 1351م، 1512م. وهكذا أحصيت المجامع المسكونية في تاريخ المسيحية بعشرين مجمعا.[39] والملاحظ في هذه المجامع السابقة أنها كانت تجمع بين أعضاء الكنيسة في الشرق والغرب، حتى كان الانشقاق بين الكنيستين الشرقية والغربية، وهو الانشقاق الذي بدأت حوادثه في القرن التاسع والذي انتهت ذيوله في القرن الحادي عشر (1054م) بالانفصال التام بين

---

[35] زكي شنودة: موسوعة تاريخ الاقباط، ج1، ص176.
[36] Painter, S. 1964. A History of the Middle Ages 284-1500AD. London, pp 16-17.
[37] Eyre, E. 2002. European Civilization. University College London, London, p 208.
[38] Painter. A History of the Middle Ages. p 17.
[39] Smith, A. H. 1950. Thou Art Peter: A History of Roman Catholic Doctrine and Practice. London: Watts & Co. pp 551-553.

الكنيستين. ولم تعترف الكنيسة الشرقية سوى بالمجامع السبعة الأولى فقط على أنها مسكونية. (انظر إلى جدول رقم (1) بخصوص عدد المجامع الدينية العالمية).

اسم المجمع الديني	تاريخ انعقاده	اسم المجمع الديني	تاريخ انعقاده
مجمع نيقيه الأول.	325م	مجمع اللتران الرابع.	1215م
مجمع القسطنطينية الأول.	381م	مجمع ليون الأول.	1245م
مجمع افيسوس.	431م	مجمع ليون الثاني.	1274م
مجمع خلقدونية.	451م	مجمع فينا.	1311م
مجمع القسطنطينية الثاني.	553م	مجمع كونستانس.	1414 -1418م
مجمع القسطنطينية الثالث.	680م	مجمع بازل (متمم لسابقه).	1431م
مجمع نيقيه الثاني.	787م	مجمع فرارا- فلورنسا.	1438 -1442م
مجمع القسطنطينية الرابع.	869م	مجمع اللتران الخامس.	1513 -1517م
مجمع اللتران الأول.	1123م	مجمع ترنت.	1545 -1563م
مجمع اللتران الثاني.	1139م	مجمع الفاتيكان.	1869م
مجمع اللتران الثالث.	1179م		

جدول رقم (1) المجامع الدينية

بالإضافة إلى هذه المجامع العالمية أو المسكونية، وجد نوع أخر من المجامع الدينية المحلية ذات الأثر المحدود. ذلك إن الأساقفة في بلد من بلدان غرب أوروبا اعتادوا أحياناً إن ينظموا اجتماعاً دينياً يجمع شملهم للنظر فيما يعنيهم من مسائل أو يعترضهم من مشاكل، مثلما حدث سنة 597م من اجتماع اثنين وستين أسقفا وخمسة من رؤساء الأساقفة من اسبانيا وجنوب فرنسا في طليطلة. ويقسم التنظيم الكنسي هذا النوع من المجامع إلى ما يعرف باسم المجامع الإقليمية للمنظمة. فيقوم رئيس الأساقفة في ذلك الإقليم بدعوة الأساقفة التابعين له وغيرهم من كبار الدين للمشاركة في اجتماع ديني خاص إقليمي الطابع. ومن الواضح إن هذا النوع من المجامع الإقليمية كان له أثره في تركيز السلطة الكنسية وتوحيد نظم الكنيسة ومقاومة النزعة الانفصالية في بعض البلدان الأوروبية.[40]

وأخيراً يأتي نوع اصغر من المجامع الدينية، هي المجامع الأسقفية التي (تقضي) في دعوة الأسقف الواحد لقساوسة الكنائس التابعين له في أسقفيته لبعض ما يهمهم من مسائل. وهكذا بلغت المجامع الدينية درجة من الكثرة والتنوع في أوروبا العصور الوسطى. جعلت لها أثراً خطيراً في الحياة الدينية. وهنا ينبغي إن نستبعد من تفكيرنا الآراء الدستورية الحديثة الخاصة بالغرض من عقد المجامع والمجالس. فلا يمتد بنا التفكير إلى أن المجامع الدينية التي عرفتها أوروبا العصور الوسطى تستهدف بأي حال تحديد نفوذ البابوية أو تقييد نفوذ كبار رجال الكنيسة.[41] فالحكومة الكنسية في غرب أوروبا أصبحت عند نهاية القرن الثاني عشر الميلادي أشبه بالملكية المطلقة، ومن ثم لم يكن هناك إي مطمع للمجامع الكنسية - سواء كانت مسكونية أو إقليمية أو أسقفية - في

[40] Chabot, J. B. 1899. The Chronique de Michel le Syrien Patriarch Jacobite d'Antioche (1166-1199). Vol. IV. Paris: n.p. pp 111-112.
[41] Eyre. European Civilization, p 209-210.

تحديد سلطات البابا أو غيره من كبار رجال الدين. أما الأهداف الأساسية للمجامع المسكونية فكانت مقاومة درب من دروب الهرطقة التي أخذت تهدد الكنيسة بين حين وأخر، أو الرغبة في القيام بحركة شاملة لنصرة المسيحية مثل الحروب الصليبية. أو الشعور بضرورة القيام بحركة جامعة لإصلاح الكنيسة وتدعيمها. ومن الواضح أن هذه الأهداف التي كانت تنتهي - بطريق مباشر أو غير مباشر- إلى تقوية نفوذ البابوية وتدعيم سلطاتها.[42] وهكذا غدت البابوية على عهد انوسنت الثالث تسيطر على الكنيسة سيطرة تامة فضلاً عن تحكمها في المجامع الدينية الكبرى تحكماً بعيد الأثر. حقيقة انه ظهر فيما بعد محاولة لجعل المجامع الدينية تسمو في إرادتها ونفوذها على البابوية. ولكن هذه المحاولة لم تظهر إلا في القرن الخامس عشر، إي قرب انقسام العصور الوسطى.[43]

ومن الطبيعي أن هذه الإحكام التي أصدرناها على المجامع العامة سنرى يمكن تطبيقها بهذه الروح ذاتها على المجامع الإقليمية والأسقفية. فالمجمع الإقليمي الذي يجمع بين أساقفة الإقليم الواحد، والمجمع الأسقفي الذي يجمع بين قساوسة الأسقفية الواحدة لم يستهدفها مطلقاً الحد من نفوذ رئيس الأساقفة في إقليمه أو نفوذ الأسقف في أسقفيته. ولكن إذا كان الغرض الأساسي من هذه المجامع هو التعاون وبحث المسائل التي تهم رجال الدين في الإقليم أو الأسقفية، فانه توجد بعض حالات فردية قام فيها رجال الدين المجتمعون في بعض هذه المجامع باستنكار سلوك أسقف أو رئيس أساقفة، يطلبوا بعزله على أساس تصرفاته غير المقبولة.

أما عن القواعد المتبعة في دعوة هذه المجامع للانعقاد ثم كيفية تنظيمها برئاستها. فتتفق كلها على مبادئ تركيز السلطة في الكنيسة. وقد ظل الكاثوليك أمداً طويلاً يعتقدون في أن البابوية هي التي دعت جميع المجامع المسكونية، أو على الأقل لم تعقد هذه المجامع إلا بموافقة البابا وتأييده. وبعضهم عادوا فاعترفوا في القرن الماضي فقط بان الإمبراطور هو الذي دعا المجامع المسكونية الثمانية الأولى وان موافقة البابا سلفاً لم تشترط في عقد هذه المجامع، وان كانت موافقته على قرارات كل مجمع شرطاً ضرورياً لإلزام الكنيسة الغربية بإتباعها.[44] ولم يلبث القانون الكنسي الذي تم نضجه وجمعه في أواخر القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر الميلادي. أن نص على انه ليس لأحد حق دعوة المجمع الديني إلا الرئيس الديني الأعلى للمنطقة التي يمثلها المجمع، فإذا كان المجمع عاماً فالبابا وحده هو الذي يمتلك حق دعوته ورئاسته،[45] أما شخصياً وعن طريق إنابة من يمثله في الرئاسة.[46] أما إذا كان المجمع إقليمياً فان الأسقف هو الذي يدعو إليه ويقوم برئاسته على انه يلاحظ دائماً أن هذه النظم لم تصل إلى درجة من التحديد والتنظيم إلا عند نهاية القرن الثاني عشر الميلادي. في حين كانت الأوضاع الخاصة بدعوة المجامع الدينية في الشطر الأول من العصور الوسطى أكثر بساطة واقل تعقيد حتى قام الأباطرة بدعوة المجامع الدينية في كثير من الأحيان واكتفت البابوية بإرسال مندوبين عنها في هذه المجامع مما أثار في بعض الأحيان خلافات بين الأباطرة ومندوبي البابوية حول رئاسة المجمع الديني.[47]

---

[42] سعيد عبدالفتاح عاشور: أوربا العصور الوسطى، ج2، ص228.

[43] Eyre. European Civilization, p 210.

[44] Smith. Thou Art Peter. pp 551-552.

[45] سعيد عاشور: أوربا العصور الوسطى، ج2، ص229.

[46] Smith. Thon Art Pete. pp 551-554.

[47] Chabot. The Chronique de Michel le Syrien Patriarch Jacobite. Vol. IV. p 114.

الخـــــاتمة

وباختصار، فإن دراستنا لهذا لموضوع (**اثر انتشار المذاهب المسيحية والمجامع الدينية العالمية على الإمبراطورية البيزنطية**) توصلت الدراسة إلى إيضاح، إن انتصار المسيحية تحقق في عصر الإمبراطور قسطنطين، ولم يكن في ذلك اعتراف بحقها في الوجود فقط، بل في وضعها تحت حماية الإمبراطورية، وهذا في حد ذاته ذو مغزى واضح في تاريخ المسيحية الأولى. فالمسيحية ظهرت قبل الإمبراطور قسطنطين بحوالي ثلاثة قرون ولم يكن حتى عصر الإمبراطور قسطنطين قد اعتنقها إلا أقلية صغيرة في عالم البحر المتوسط، لهذا كان انتصار المسيحية بالذات على ديانات شرقية أخرى يرجع بالدرجة الأولى إلى التحمس وتفضيل الإمبراطورية البيزنطية لها.

ونستنتج من هذه الدراسة، إن اعتراف قسطنطين بالمسيحية لم يكن يعني منحها حق وجود شرعي مماثل للوجود الوثني فحسب، بل كان يعني تثبيت دعائمها وتمهيد الأرض لازدهارها. ومثلها مثل الديانة الزرادتشتية عندما وقف حكام فارس الساسانيين إلى جانبها واتخذوها ديانة للإمبراطورية وأدى إلى انتشارها. وبالتالي أمر الإمبراطور قسطنطين بتشييد عدد كبير من الكنائس في داخل الإمبراطورية البيزنطية وخارجها.

ونستنتج أيضا، أن الخطر الذي هدد الإمبراطورية البيزنطية في مطلع حياتها هو الخلافات الدينية المذهبية. ويلاحظ إن هذه الخلافات نجحت إلى حد ما في إلحاق ضرر كبير في الشرق البيزنطي، في الوقت الذي لم تكن هذه الخلافات المذهبية موجودة في الغرب اللاتيني. ومن المعروف إن اعتراف الإمبراطور قسطنطين الكبير بالمسيحية ساعد على انتشارها إلى حد كبير. ومما زاد من الخلافات الدينية المذهبية إن المجتمع البيزنطي نشأ مجتمعاً دينياً، وكان اللاهوت هو الموضوع المفضل للمناقشة حتى بين عامة سكان القسطنطينية. وتفاقمت المشكلة الدينية في الإمبراطورية البيزنطية مع مرور الزمن، إذ ازداد مذهب الطبيعة الواحدة قوة في الأقاليم الشرقية، الأمر الذي أدى إلى اتساع شقة الخلاف بين القسطنطينية والولايات الشرقية التابعة لها.

واتضح لنا، إن المجامع الدينية العالمية تمثل ركناً هاماً من أركان التنظيم الكنسي في العصور الوسطي. والواقع إن انتشار المسيحية، ومصاحبه من اتساع نفوذ الكنيسة استلزم عقد كثير من المجامع الدينية منذ القرن الرابع الميلادي لحل المسائل المعقدة التي صحبت انتشار المسيحية من جهة ولتنظيم شئون الكنيسة وتدعيم بسلطانها من جهة أخري.

وأخيراً من الواضح للباحث إن هذه المجامع الدينية اتخذت سلطة قوية وقررت قرارات تعتبر أصولاً في الدين المسيحي، أنها صنعت الإلهة وتحدثت عن طبيعتها، ومنحت الكنيسة سلطة محو السيئات، وقررت عصمة البابا، وتلك كما ترى أشياء ضخمة لا يتصور الإنسان أنها من خصائص البشر. ولقد أخذت المجامع سلطة لم تعرفها أكثر الأديان أو كلها، ففي الإسلام مثلا للعلماء إن اجتهدوا ولكن في الفروع، إما عدد الصلوات وعدد الركعات وفرائض الحج وأمثالها لا تخضع للاجتهاد، وليس للمسلمين إن شرعوا فالمشرع هو الله العلي العظيم. والمسلمون بعيدون جداً عن صنع الإلهة، والله وحده - عند المسلمين - هو غافر الذنوب وقابل الثواب شديد العقاب ذو الطول، والعصمة لله وحده، وليس للأنبياء مع عظيم مكانتهم عصمة إلا في التبليغ وفقاً لرأي اغلب العلماء.

المصـــــادر والمراجـــــــع

- **القرآن الكريم.**
- أثناسيوس الرسولي: رسائل أثناسيوس عن الروح القدس - تعريب القس مرقس داود (بدون مكان، بدون تاريخ).
- اسحق عبيد: الإمبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية مع دراسة في "مدينة الله" (القاهرة، 1972م).
- اسحق عبيد: قصة عثور القديسة هيلانه على خشبة الصليب أسطورة ام واقع؟ المجلة التاريخية المصرية - مجلد17 - 1970م.
- حسنين محمد ربيع: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية (القاهرة، 2000م).
- زكي شنودة: موسوعة تاريخ الأقباط، ج1 (القاهرة، بدون تاريخ).
- سعيد عبدالفتاح عاشور: أوربا العصور الوسطى (النهضات والحضارة والنظم) ج2، مكتبة الانجلو، (القاهرة، 1986م).
- سيد احمد الناصري: تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، دار النهضة العربية (القاهرة، 1975م).
- السيد الباز العريني: الدولة البيزنطية 323-1081م، دار النهضة العربية (بيروت، 1982م).
- محمود سعيد عمران: معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، دار النهضة العربية (بيروت، 1981م).
- ميشيل جرجس: الكنيسة المصرية، دار النهضة العربية (القاهرة، 1958م).
- نورمان بينز: الإمبراطورية البيزنطية - ترجمة حسين مؤنس ومحمود يوسف، لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة، 1957م).
- وهيب عطا الله جرجس: تعليم كنيسة الإسكندرية فيما يختص بطبيعة السيد المسيح (القاهرة، 1961م).

- Ashour, S. & Rabie, H. 1971. *Fifty Documents in Medieval History*. Cairo.

- Chabot, J.-B. 1899. *The Chronique de Michel le Syrien Patriarch Jacobite d'Antioche (1166-1199)*. Vol. IV. Paris: n.p.

- Daoud, D. A. 1964. *Alexandria and the Early Church Councils*. Cahirsd' Alexandrie. Serie II.

- Davis, R.H.C. 1968. *History of Medieval Europe from Constantine to Saint Louis*. London.

- Eusebius. 1926. *The Ecclesiastical History*. London. Introduction.

- Eusebius. 1965. *The history of the Church from Christ to Constantine*. Trans-by Williamson, G.A. Middlesex.

- Eyre, E. 2002. *European Civilization*. University College London, London.

- Hussey, J.M. 1967. *The Byzantine World*. 3rd edition. London.

- Nichols, R. H. 1941. *The Growth of the Christian Church*. Philadelphia.

- Oman, C.W. 1914. *The Byzantine Empire*. London.

- Ostrogorsky. 1956. *History of the Byzantine State*. Trans- by Jon Hussey. Oxford.

- Painter, S. 1964. *A History of the Middle Ages 284-1500AD*. London.

- Smith, A. H. 1950. *Thou Art Peter: A History of Roman Catholic Doctrine and Practice*. London: Watts & Co.

- Stanley, A. 1908. *Lectures on the History of the Eastern Church*. London.

- Vasiliev, A. 1961. *A History of the Byzantine Empire 324-1453AD*. 2 Voles. 3rd edition. Vol. 1. Madison and Milwauk.

- Vryonis, S. 1967. *Byzantium and Europe*. London.